

## الشعر والفكر

- ٢ -

بقلم ابراهيم صبري

من الشعراء الفكريين من تفرغ حياتهم في بعض الأحيان بالأحداث  
الكبيرة حينما تلقى يد القدر على كواهلهم توجيه المجتمع إلى مثله العليا وقيادة  
مصائر الأمم . ومن ثم نرى منهم من يشعر في قرارة نفسه بهذه الرسالة ويجوس  
خلال الديار وهو يحمل في ثنايا أفكاره قيباً من الشعلة الواهجة التي توقد نار  
الحماسة في أنبلاد بنفخته الساخنة الساحرة والتي قد تقضى على الشاعر نفسه  
وتحوّل قلبه وماداً إذا ما شاء القدر أن تحمد هذه الجنوة قبل أن تندلع نيرانها  
ومثل ذلك الشاعر الايراني الفردوسي والشاعر العربي أبو الطيب المتنبي .

أما الفردوسي (١) فقصته مشهورة فيما قام به من إحياء تاريخ الدولة  
الايرانية القديم وبث فكرة النهضة القومية لدى الشعب الايراني في ديوانه  
المشهور باسم (شاهنامه) الذي نظمه عن مؤلف مشور مترجم من الهلوية  
تم تأليفه في عهد اسمايين وبذل في نظم هذا التاريخ مجهوداً للوصول  
إلى هدفه المنشود استغرق ثلاثين سنة قضى أكثرها في قصر السلطان التركي  
محمد الغزنوي حيث قال :

بسی و بچ بردم درین مال می

عجم زنده کردم بدین پارسی

(ذقت ألواناً من المشقة ثلاثين عاماً)

(حتى أحييت ايران بهذه الفارسية) (٢)

(١) ولد عام ٣٣٠ هـ في طوس .

(٢) بدأ ينظم الديوان عام ٣٦٥ هـ وانتهى منه عام ٤٠١ هـ .

وقال الشاعر أيضاً بشأن وطنه الذي وصف وقائمه التاريخية في ستين ألفاً  
من الأبيات :

جو ايران نباشد تن من مباد  
بلدين بوم وبر زنده يك تن مباد  
( لا كنت إذا لم تكن ايران )  
( ولا عاش فرد على هذه الأرض )

قام الفردوسي بأعظم عمل أدبي سياسي في التاريخ وأعاد الأمة الإيرانية  
بمأصمها إلى الحياة بعد أن ترجم في أشعاره عمجد ايران القديم الذي انقلب نفضة  
في قيثارة الشاعر ثم نفذت هذه النفضة في عروق القوم كمروح جديدة .

أما المتنبي فيقول من قام<sup>11</sup> بالتعيب عن خفايا حياته وبحث معاني  
أشعاره ومرماها :

” ولا شك أن جدته الخازمة الصالحة كانت تستحبه بعد وفاة أمه  
على طلب العلم وتستفزه إلى ذلك ليم لها ما تؤمل من الفرح بنوغيه ونفوقه  
على لدائه وأسنانه من العاويين ، ويستطيع بعد أن يدركها حفاً ويطلب لنفسه  
حقاً هضم ومنع من دونه حتى أتى في أسوأ مجبهة وبشر منزلة في خفا  
من النسب وقلة من المال وبعد عن مساعي الخلد . وقد وجدت العجوز أرضاً  
صالحة بطبيعتها لما تريد من أمرها فتأدب النبي بالعلم الذي كان يتلقاه  
في ككتاب أولاد أشراف الكوفة واجتهد في ذلك وبرح وفاق أصحابه وأخذته  
جدته بأخلاق طيبة وحاسبته وحرصت على استطلاع خبره كله وألقت  
في قلبه وخياله طلب الخلد بالعلم ، ثم زينت له الثبوة وعلو النفس وبعد المهمة  
وعظم المطلب وأدبته بالصدق والأمانة وكيان السر وعلمته من حيلها  
ودهاها وحذرهما سعة الحيلة وخفاء الدهاء وتقديم الخذر ، وبعد أن أدرك النبي  
من الفكر ما يسر لها ، تريد أن تبوح له به ، طفقت تدبر له السر من هنا  
ومن هنا وتأخذ نفسها بالخذر والشكم والاحتراس من ثورة النبي إذا هي

(1) الأستاذ محمود محمد شاكر - المقتطف - الجزء الأول من المجلد الثامن والتمثيين .

فجأته بما تريد حتى بلغت ما أردت . كان أبو الطيب كثير اهتمام بأمر الأمة التي هو منها لا يفوته مغمز يلتقده ، وكان أهل العصر على خلاف له في ذلك وخاصة من انتسب إلى الأدب وكان الأدباء والشعراء أهل شراب ومعاقرة . أما المتنبي فإنه عقد قلبه على إحداث حدثٍ لعله يصيب من ورائه ما يتغنى وما يؤمل ويلربك به ثأراً في قوم ليشفي به صدر جدته وصدره . هذا ، وقد يصف في شعره ما وصلت إليه الأمة العربية وما رآه في البلاد العربية . وهذه المعاني كلها دائرة في حياة المتنبي وشعره دوران اندم في عروقه فإذا قرأت أنت ديوانه من أوله إلى آخره فلن يقولك أن تراها جميعاً أو ترى بعضها ماثلاً غير خفى في كل موضع من شعره حيث يقول :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة	وما تبغى ؟ ما أبتغى جل أن يُسمى
كأن بينهم عالمون بأنبي	جلوب إليهم من معادته اليما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي	بأصعب من أن أجمع الجد والفهما
ولكني مستصر بذبابه	ومرتكب في كل حال به الغشما
وجاعله يوم اللقاء تحيى	والأفت اليد البطل القرما
إذا غل عزمي عن مدى خوف بعده	فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما
واني لمن قوم كأن نفوسهم	بها أنف أن تسكن اللحم والعظما
كذا أنا يا دنيا إذا شفت فاذهبي	ويا نفس زيدي في كراستها قدما
فلا عبرت في ساعة لا تعزني	ولا صحبتي مهجة تقبل الظلما

ويقول :

فلما أفتنا ركزنا الرما	ح بين مكارمنا والعل
وبتنا نقبل أسافنا	ونحسها من دماء العدا
لتعلم مصر ومن بالعراق	ومن بالعواصم أنى النسي !
وأنى وفيت وأنى أبيت	وأنى عتوت عل من عتا ..

ويقول :

ومن عرف الأيام معرفتي بها	وبالناس روى رحمة غير راحم
فليس بحرهم إذا ظفروا به	ولاني الردى الجارى عليهم بأثم

ويقول :

فارم في حيث شئت مني فاني أمد القلب آدمي الرواء  
وفؤادى من الملوك وان كما ن لاني يرى من الشعراء

ويقول :

ما مقامي بأرض نعمة إلا كقمام المسح بين اليهود  
أنا في أمة تداركها الله له غريب كخالج في نمود

ويقول :

أذاقني زمني بلوى شرقت بها لو ذاقها لكي - ماغاش - وانتحيا  
وان عمرت جعلت الحرب والدة والسمهري أنحاً والمشرق أبا  
بكل أشعث ينقي الموت مبنسا حتى كأن له في قتله اوبا  
فالموت أعذر لي والصبر أجل في والبر أوسع والدنيا لمن غلبا !.."

أقول هكذا نشأ المنفي وسط ظروف شعر بالأمها منذ نعومة أظفاره ،  
وعند ما أنطق لسانه بالشعر أشد قصائد فتعبر عما أوحى إلى قلبه تلك  
الأحوال المتعلقة بمصير أمته وجعلته يرثم أشودة على وتيرة واحدة تفيض  
نفثاتها على صدى ألحان قيثارته ألا وهي الثأر للعالمين وبناء مجد ضخم لهم  
بعد وضع الأمور في نصابها في الدولة التي أقام صرحها بنو قومه ثم لم تلبث  
أن وقعت ممنكها الواسعة الأرجاء فريسة في أيدي الظالمين تسلطان  
من الداخل والخارج .

هذا في أزمنة غابرة قد دخلت قبل قرون ... وأما إذا أخذنا مثالا  
من الأحداث المعاصرة التي كانت مصر -- وهي أهم أجزاء المجتمع العربي  
الاسلامي -- مسرحاً لها منذ زمن غير بعيد حيث كانت الأحداث أشد خطورة  
من حيث تكوين اشاعر المفكر ، رأينا أمير الشعراء شوقي الذي قال :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فذهب عنه هذا البيت مثالا بين بني قومه ، قاله الشاعر حينما دعاهم  
ودعا العالم الاسلامي كله للوعي والقيام في وجه مطاردة الغرب للمسلمين

في عقر دارهم ، دعاهم بأشعار نزل وحبها في قلبه الحافل بالآلام أمته وكُتِب  
لذلك الأشعار الخلود في الشعر العربي . سأذكر هنا لتثريه بدور هذا الشاعر  
في المجتمع الاسلامي بعض ما كتبه الدكتور حسين هيكل في مقدمة الشوقيات  
في تحليل المقومات التي كانت ذات أثر في إلهامات الشاعر عند إيمانه بالأهداف  
التي رمى إليها في حياته الأدبية .

قال هيكل : " لقد سافر شوقي إلى أوروبا لاتمام عنومه . وكان من قبل ذلك  
شاعراً متفوقاً وكان في تفوقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه إياه  
نفسه . فلما عاد إلى مصر حتمت الظروف عليه أن يكون المعبر عن الميول  
والآمال الكينية في نفوس المسلمين جميعاً لا في نفوس المصريين وحدهم .  
وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة ووجه إياها وحرصه  
على المتاع بها مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم  
بازاء الأمم الغربية التي كانت تنظر إليهم بعين صليبية بحتة . وكانت هذه  
الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به أكثر استيحاء  
لشعره من الناحية الأولى التي هي طبيعة نفسه فكان بذلك كالرجل القوي  
الذي يرى وطنه في خطر يصبح جندياً وجندياً باسلاً ويتشوق في كل مواقف  
الحرب ويصبح القائد الأعظم ، ولو أن وطنه لم يكن في خطر لرأيتك صديق  
النعمة السعيد بها غاية العادة " ..

" إن شوقياً لم يكن يشيد بذكر المسلمين وبخلاقهم لغاية سياسية صرفة ،  
بل إنه ليؤمن بهذه المعاني إيماناً يتجلى في الكثير من قصائده على صورة تركنا  
في حيرة كيف يبلغ الإيمان من نفس هذا المحب بالحياة كل هذا المبلغ فلا نجد  
لحورتنا جلاء الآمن الحديث : ( اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل  
لآخرتك كأنك تموت غداً ) ومحبتك أن تقرأ الحمزية النبوية ونهج البردة  
وقصيدته في ذكر المولد التي مطلعها :

سلوا قلبي بغداة صلا وتابا لعل على الجمال له عتاباً

لترى في غير إلهام أنه انما أملت هذه القصائد قوة غنيت طبع أشاعر  
هي قوة الإيمان .. " .

إن بعث حبرة الدكتور هيكل هو الاعتقاد السائد لدى معظم نقاد الأدب بأن الشاعر يجب أن يتروم بعواطفه فحسب . والعواطف عند شوقي كما يقول الدكتور هيكل كانت بطبعه منصرفة إلى الحياة الهادئة والرفاهية والسعادة فما كان لشوقي مثلاً أن ينادى ، وهو الشاعر ، بالآمال الكامنة في نفوس أمتنا . شأن الكتاب السياسيين . بل كان عليه أن يخضع لطبعته هو المنبثقة من أعماق نفسه وللمتضيات التي لا يرتقى شعر الشاعر إلى درجة الشعر الخالص إذا خالف قواعدها وخرج على حدودها ، وكان عليه . . . وقد طبعت نفسه على حب الحياة — أن يتجنب المخاطر السياسية . ولكن في الحياة ظروفاً يهتز فيها قلم الشاعر بحماسة استجابة للمثل الأعلى الذي إذا ما نزل وحيه في التمسك المشتعل لشاعر ذي رسالة استولى عليه وسخر كل كيانه للتعبير عنه ، مهتز قلم الشاعر في مثل هذه الظروف بتريده صدى البرق الذي يتفجر في سماء فكره المتلبد بالقيوم وذلك إيماناً منه برسالة الخطيرة . . . وقد كانت ائرفاهية والسعادة التي نعم بها شوقي من أقوى البواعث على تدفق أشعاره بسعادة وطنه بتلك الثورة من الإيمان ، فالذين يضحون بحياتهم في سبيل الذود عن أوطانهم في الحروب الطاحنة هم كتائب من الشبان الممتلكين بالحلب ، وقد وطئوا بأقدامهم عتبة الحياة وأجروها وعشقوا أوطانهم والحياة السعيدة في ربوعها ولذلك نراهم لا يترددون عند ما يدعون إلى بذل النفس والنفس ائثاراً للموت على حياة تقترن بالذل والأمر . . . أليس يرمى الكفاح في الحياة إلى البقاء فيها ، وأليس البقاء في الحياة سعادة للانسان الذي يتعلق بالحياة حتى على حافة قبره ، كما قال الشاعر التركي توفيق فكرت (١) . . . .

فالشعراء المكافحون إذن هم الذين يحبون الحياة أكثر مما يحبها أي انسان عادي ، يلهب قلبهم بجذوة أفكارهم ويفيض بعشق آمالهم المتعلقة بالحياة والأوطان . إن الأشعار التي أرسلها شوقي قبل سفره إلى أوروبا إذا لم تحمل طابع شعره الذي قاله بعد رجوعه منها فذلك راجع إلى أن لسان شوقي لم يكن قد نضج يومذاك ولم يكن فكره قد تمهد بعد بتهديب الرق الروحي الذي ارتقى إليه

(١) (سور حياتي بشر تاسر مزارفته) - رواب شكسته -

الشاعر عند ما ينبغ حد انضج العقل أثناء دراسته في أوروبا . وفي الفقرات الآتية التي نقلها المرحوم شكيب أرسلان في تأليفه المسمى (شوق وصدقة أربعين سنة)<sup>١١</sup> عن أديب مصر الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي ما يؤيد الرأي الذي أوردته بصدد المثل الأعلى لشرق . قال الرافعي : " شاعر مرهف معان بأسباب كثيرة ليكون أداة سياسية في الشعب المصري تعمل لأحياء التاريخ في النفس المصرية وتبصيرها بعظمتها وإقحامها في معارك زمنها وهبتها للمدافعة . إن السياسة التي ارتاض بها شوق ولايسها من أول عهده واتجه شعره في مذاهبها من الوطنية المصرية إلى النزعة الفرعونية إلى الجامعة الإسلامية كانت سبب نبوغه ومادة مجده الشعري فقد أبلت بحب نفسه وجعلته كالجواد العتيق الكريم يناقش حتى ظنه . . . "

أقول إن الشاعر عندما قام بهذه الرسالة لإحياء التاريخ في نفوس المصريين لم تفته فرصة إلا أنهبها كتلك الرسالة التي أعلنها أمام العالم وضمها آية من آيات أشعاره أنشدها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في مدينة جنيف سنة ١٨٩٤ حيث قال :

وإذا مصر شاة خير لراعى الله      سوء تؤذى في نلها وتاء  
 قد أذن الرجال في عبيد      ويسر إذا أراد الدماء  
 ولقوم نواله ورضاه      والأقوام اتقل والجفاء  
 ففريق ممتعون بمصر      وفريق في أرضهم غرباء  
 إن ملكت النفوس فابغ رضاها      فلها ثورة وفيها مضاء  
 يسكن الوحش للثوب من الأسد      سر فكيف الخلاق العقلاء

وما أشبه شوقى بأبي انشعراء المحددين في الأدب التركي الشاعر (شاسي)<sup>١٢</sup> الذي أرسل أشعاره ككل شاب أطمع نفسه إلى أن سافر إلى أوروبا لاستكمال دراسته فيها بإرادة السلطان عبد الحميد الذي أعلن

(١) ص : ٩٢

(٢) ولد عام ١٢٤٢ في استانبول .

الندستور في تركيا سنة ١٢٥٥ هـ ، وتعرف هناك على كبار الشعراء من أمثال (لامارتين Lamartine) وألف بعد رجوعه إلى بلاده أشعاراً تنطوي على أفكار وتعبيرات لم يسبق لها مثيل في الشعر التركي الذي قاده (شناسي) أول مرة إلى ميدان الكفاح السياسي .

والواقع أن هناك شواهد لتأييد التشابه بين الشاعرين ، منها مثلاً : أسويهما في احتذاء الأساليب الشعرية الغربية والتعبيرات التي يستعيرانها من الاصطلاحات المستعملة في الدساتير الحقوقية وفي العنوم السياسية والاجتماعية بالغرب ، وإذا قارنا بينهما من حيث نشأتهما الأدبية وآثارهما الشعرية رأينا أثر النهضة الفكرية الغربية في شعرهما ذلك الأثر الذي بدأ في الشعر التركي بظهور (شناسي) ثم دامت تطوره إلى يومنا هذا في عيود المدارس الأدبية المختلفة ، ولا شك أن الأثر نفسه كان من الخطورة بمكان في تطور الأدب العربي الأخير ...

قال شوقي في الحمزية النبوية وأبدع أي إبداع في التعبير عن مثل الانسانية العليا التي بعث بها كلها سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة	بالحق من عقل المدى غراء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة	نادت بها سقراط والتقدماء
لما دعوت الناس لبي عاق	وأصم منك الجاهلين نداء
فرسمت بعدك نعباد حكومة	لا سوقة فيها ولا أمراء
والدين يسراً والخلافة بيعة	والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت إمامهم	لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت مثلاً ودبوا ظفرة	وأخف من بعض الدواء الداء
الحرب في حق لديك شريعة	ومن السموم الناقعات دواء
والبر عندك ذمة وفريضة	لا مئة ممنونة وجيأء
حامت فوحدت الزكاة سبيل	حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى	فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن انساناً تحسب مسلة	ما اختار إلا دينك الفقراء

وقال وهو يخاطب الشباب :

عصركم حر ومستقبلكم في عين الله خير الأمان  
لا تقولوا حظنا الدهر فما هو إلا من خيال الشعراء  
واقروا تاريخكم واحفظوا بقصيح جاءكم من فصحاء  
واحكموا الدنيا بسلطان فما خلقت نصرتها للضعفاء  
واطبوا المجد على الأرض فان هي ضاقت فاطلوه في السماء ..

وقال في رثاء ثروت باشا :

تصريحك الحظوة الكبرى ومرحلة يدنو على مثلها أو يعد الأمد  
الحق والقوة ارتدا إلى حكم من الفياصل ما في دينه أود

وأما (شناسي) فهو أبو الشعراء الذين ترنموا على قيثارهم بألحان الوجد  
الباكي في أسلوب تحدر إلهامه من ينبوع أفكارهم عبرات انحدرت على خلود  
أفراد الشعب حتى ان الذين ولدوا بالآستانة بعد سنة ١٢٥٥هـ استمعوا  
في مهدهم إلى هذا النوع من الشعر الوطني على لسان أمهاتهم ونشوا على أنغامه  
التي لقتهم بكل ما أوتوا من قوة الشباب لتشييد الوطن الذي كان يرفرف  
العلم العثماني على أرضه المترامية الأطراف ودفعتهم إلى أن يقوموا قومة رجفي  
واحد ضد كل من يحاول دون تقدمه في ركب الحضارة والرقى وممارسة  
حقوقه المتعلقة بمصيره . هذا الدور الذي هيا في الوقت نفسه أسباب التجدد  
في الأدب التركي على نمط التحديث الذي بدأ بعهد (انتظيمات) أي الدستور  
افتتحه مصطفى رشيد باشا الكبير الصدر الأعظم الذي فطخ المرسوم المعروف  
بخط (كلخانة) بالآستانة وأعلن فيه الدستور العثماني الجديد الذي استلهم  
واضعة في تدوين نصوصه .. إلى جانب أحكامه المستنبطة من الشريعة  
الاسلامية - المبادئ الحقوقية التي تقررت في الغرب بعد الثورة الفرنسية  
وأصبحت في أوروبا شعاراً سياسياً لنظام الأمم المتعددة الاجتماعي ..

إن عهد (شناسي) الأدبي ومدرسته يعتبران تمهيداً لنسخون في وادي  
الشعر الشكري لدى شعراء الأتراك الذين نشأوا منذ قرن أو أكثر وكونوا

في عهود متتالية مدارس مختلفة في الشعر وسامعوا بآثارهم الشعرية والنثرية في بناء صرح المجتمع الجديد المزمع انشاؤه في مرسوم السلطان عبد الحميد . وقد شاء انتقد أن وجد في طليعة أولئك الشعراء الكاتب الوطني شناسي الذي جاهد في الصحافة بآثاره الشعرية والنثرية للنفود عن المبادئ التي وضعها مصطفى رشيد باشا وأعلن فيها الحرية والمساواة للمواطنين أمام القانون . هذا الشاعر الذي قال في الشعر الذي خاطب به مصطفى رشيد باشا :

أيا أهائي فضلك رئيس جمهوري

( أي رئيس جمهورية الشعب ذي الفضل )

كان أول من استعمل تعبير ( رئيس الجمهورية ) في الأدب التركي . وهو أول من كتب قصائد شعرية في موضوعات سياسية في تركيا حيث قال وهو يوجه الخطاب إلى رئيس الوزراء نفسه :

ابتدك آزاد بزي اولمش ايكن ظفمه أسير  
جهلمز سان كه ايدى كندتمزه برزنجير  
برعتقنامه هر انسانه سنك قانونك  
ييلديرر حديبي سلطانته سنك قانونك

( أنت حررتنا من كيوثنا في أمر انظلم  
في حين كان جهلنا يكلنا كالقيد  
فلمنتورك ما هو الآ وثيقة تحرر الانسان من عبوديته  
والقانون الذي وضعت أنت يوقف السلطان عند حده )

لقد صار إلهام كل بيت شعر من هذه الأبيات نواة لقصائد مستقلة في أيدي تلاميذ ( شناسي ) الذين ترجموا بمبادئ أستاذهم ، فالأشعار التي ألفها الشاعر الوطني نامق كان<sup>(1)</sup> تدلنا على ما أوقده ( شناسي ) من نار الحمية في قلوب هؤلاء الشعراء الذين كتبوا أشعاراً تكاد تفوق في روحها عيون

(1) ولد سنة ١٢٥٦ هـ في مدينة ( تكفور داغي ) .

قصائد السلف في الغزل والفخر والحجاسة .. إن نامقاً أضفى على الشعر  
التركي حماسة قومية بالهاماته الوطنية ونقش عشق الوطن ببراعه في قلب  
الشباب ونظر إلى القومية من زاوية اسلامية واعتبر وطن الدولة العثمانية وحدة  
لا تتجزأ أمام محراب التوحيد حينما أخذ يكافح ويناضل لأجل تحرير  
هذا الوطن في قصائده التي صهرها من الحديد ، حيث قال :

سپرك بختنى ، اقبالى هپ بايمانل ايتدم  
حيث ملكنده ترك اولاد و عيال ايتدم  
حياتمدن معززكن و طندن انفصال ايتدم  
ثبات وعزمه حائل بر دنى دنياى قالمشدر ؟ ...

(أنا الذي ركلت طالع اندهر وقضيت على حظوظه  
وفي سبيل الجود بالنفس والنفيس فأوطن هجرت أهلى وعيالى  
إذ غادرت وطنى وهو أعز من حياتى ..  
فأهى العقبة التي تحول دون عزمى وثباتى ، هل هى الدنيا الدنيئة ؟ ... )

وقال :

چكهدم عمرده زنجير أسارت بارينى  
قيد دنيا دن مبرام بيلير دنيا بى  
ايشته ميدان حيث قاجا أى جلال ظلم  
با سنى عمو ايله سين مولا جهانده يا بى !

(لم أحل طوق الأسر في حياتى  
إلى برئ عن قيود الدنيا وهى تعرفنى  
هاك ميدان التضحية لا تهرب يا جلال الظلم  
لابد من أن يقضى الله اما عليك واما على أنا ! .. )

وقال :

باصديتك خاك سهدن طوتما آخاق نفسكى  
ثابت اولى عزمكده دهر بي ثباتك رعنت

خاكة يوز سورمكله قأئمه ير اوستنده حيات  
اختيار ايت آلتى خاكلك حياتك رغنمه  
شر ايدى كوردم ده آيريلدم ذهاب كائناث  
منفرد قالدن بو بولده كائناثك رغنمه

(لا تكن نفسك عندك أحقر من التراب الذى تطوه  
وكن ثابت العزيمة على رغنم الدهر القلب  
إذا لم تكن لك حياة على الأرض الا بتغفير وجهك بالأرض  
فاختر أن تكون تحت الأرض على رغنم الحياة  
رأيت مذهب الناس شراً فهجرهم  
وبقيت وحيداً فى هذا الطريق على رغنم الكائنات .. )

لقد ساهم نامق كنان مع شناسى فى تحرير جريدة يومية ولم يلبث  
أن استقل بآدارتها بعد وفاة الثانى كما التحق بجمعية العثمانيين الجدد ،  
ولما كشفت الحكومة أن هدف هذه الجمعية هو القيام بخلع السلطان عبد العزيز  
وتولية الأمير (مراد) على العرش بتدوت شمل أعضاء الجمعية ، وقد هرب  
الشاعر إلى أوروبا حيث نشر جريدته المسماة (الحرية) ، وفيها هو كذلك  
قامت الحكومة بإعلان العفو العام فرجع الشاعر إلى استانبول حيث عادت  
السلطات سيرتها الأولى لتضييق الخناق عليه ونفته غير مرة إلى أماكن  
بعيدة عن العاصمة بتعيينه فى وظائف مختلفة ، ثم أطلقت سراحه وعينه  
فى مديرية جزيرة (خيوس) حيث توفى إلى رحمة الله وهو يناهز التاسعة  
والأربعين ، وقد دفن الشاعر حسب وصيته بجوار ضريح الأمير سليمان  
فى (بولايير) بمضيق (چناق قلعه) وكتبت قطعته الآتية على شاهد قبره :

سن اولدك جوركه أى دلشكن محزون بن محزون  
فلك كولسون ، موبنسين ايشته سن محزون ، بن محزون  
أولورمه م كورمه دن ملتده أميد ايتديكم فيضى  
يا زيلين منك قبرمه : وطن محزون ، بن محزون ...

( يا محطم القلب ! لقد أصبحنا شريكين في الحزن  
فليضحك نقدر مسروراً فما أنت حزين وأنا حزين  
وإن مت قبل أن أرى في الشعب النقيض الذي آمله  
فليكتب على شاهد قبري : وطني حزين وأنا حزين ... )

وقد قال بعض النقاد (١) أنهم لم يجدوا الأحاسيس المشتركة للضمير  
الإنساني في أشعار نامق كمال التي تعبّر عن الآلام الجائشة في قلب الأمة ،  
كما أنهم لم يلقوا استعارات العشق الرقيقة في قصائده . ولكن الواقع هو  
أن أغوار قلب الشاعر لا تسير بمجرد النظر اليه من خلال عدسة غير محددة  
وذلك لاختبار إحاطته بالإنسانية جميعاً ، بل يستدل على قدرة الشاعر الأدبية  
بالصور التي يبدعها حيناً يقدم لوحة تعكس ما في القلب الإنساني من ألوان  
الانفعالات والتأثر ، وآثار شاعرنا في الجهاد التي دخلت الخلود مع التاريخ  
وهي ملقفة حول طرفها وزمنها قد تضاعفت قيمتها مع شخصية مؤلفها الفريدة  
في إخلاصها . وبقيت في الأدب العثماني منقطعة النظر إلى يومنا هذا ...

(١) الأستاذ اسماعيل حبيب مؤلف : (تورك تجهد آبياتي تاريخي) أي : تاريخ أدب

التجديد التركي .